تاريخ الإرسال: 05-07-2018
تاريخ القبـول: 30-07-2018

دلالة أسماء الشـخصيــات في الرواية الجزائرية
الرماد الذي غسل الماء لعز الدين جلاوجي-أنموذجا-

الطالبة: مخفي إكرام
المشرف: د. مزاري عبد القادر
جامعة عبد الحميد بن باديس/مستغانم- الجزائر

ملخص:

للرواية الجزائرية بناؤها السّردي المتناغم مع مضامينها الفكرية والثقافية وحمولاتها التي تنبني داخل بناء سردي محكم يراعي النمطية المعروفة، في توالي عناصره داخل النسيج العام، كما يراعي التميّز في اكتناز مكامن تصاقب ما يقتضيه السياق الخارجي رغم تبايناته وذلك في مواضع سردية كثيرة، ومكون الشخصية من أبرز العناصر التي تستقطب القارئ في أقوالها وأفعالها فيجدها مثقلة بالدلالات والإيحاءات التي قد لا تصرّح بها إلا حين يتوغل فيها ويتتبّع مسارها، ناهيك عن الدلالات المختلفة لأسمائها، فكثيرا ما لا تنتقى عرضا وإنّما تتوخى الذات الناصة الاستناد إلى باقي المكوّنات داخل البناء السردي، وتتطلّع بكل دراية ووعي إلى كل ما قد يحيط بالنصّ وبخاصة بالشخصيات التي تمتلك أهواء تقتضي أساليب تعبيرية محدّدة لتمرير أكبر قدر ممكن من الدلالات بدء من الاسم الشخصي وصولا إلى آخر فعل أو قول لها.

لذا تطمح هذه الدراسة إلى مقاربة هذا العنصر المهم داخل الخطاب الروائي من خلال رواية الرماد الذي غسل الماء لعز الدين جلاوجي، حيث سيتم تتبع بناء الشخصية الروائية وكيفية تشكّلها داخل النسيج السّردي، مع التركيز على الأسماء ومدى تعالقها بمختلف المستويات الفنية والفكرية

المتعددة، وتبيان تأثير هذا التّشكل على الأداء الوظيفي للشخصية من جهة وعلى التخييل السردي بمختلف تمفصلاته.

الكلمات المفتاحية: الشخصية،الدلالة،المتن الحكائي؛ الرواية الجزائرية.

Abstract:

The Algerian novel has its own narrative construction in Harmony with its intellectual and cultural contents and their charges. All this is built inside well-connected narrative constructions which take into account known conceptions such as elements successions within a general texture and singularity in preserving hidden contents that external context entails in its consecutive movements despite differences emerging in many narrative spots.

Characters are among salient elements that attract readers by means of their speeches and deeds which, in the eyes of every reader, are charged with significations and implications revealed only through deep diving inside and following their paths. Added to that, characters' names have various significations as they are not chosen arbitrarily but the narrative ego wants to lean on the remaining elements, inside the narrative construction, to long consciously and knowingly to all the text's surroundings, especially characters who possess whims that require expressive and determined styles to convey sufficient significations from mere individual names to the least speech and deed.

Consequently, this research study aims at approaching such important elements inside novelistic discourse of Azzedine Djelaoudji's novel " Al-ramad allathi ghasala al-ma " where constructions of novelistic characters are tracked along with their way of evolution within narrative texture. Special focus is put on the links

that names have with different artful and intellectual levels and the impact of these connections on characters functional performance on the one hand and narrative fiction joints on the other.
Key Words: Character, signification, narrating text, Algerian novel

توطئة:

تُعدُّ الشخصية مركزا جوهريا تتكىء عليه مختلف الأجناس الأدبية، فهي بمثابة العمود الفقري الذي يربط بين المكونات السردية، فلا يمكن تصور مكان خال من الشخصيات فهي تتأثر به وتتفاعل معه، ولازمن تدور أحداثه دون شخصيات.إذ تشكل هذه الأخيرة السِمة اللولبية المحركة لأحداث العمل السردي. وقد شكّلت دراستها هاجسا بالنسبة لكثير من الباحثين المشتغلين في حقل الدراسات السردية، وهذا اعتمادا على أسس نظرية ومنهجية مختلفة تنبعث من خلفيات فكرية وإيديولوجية محددة.

1.مفهوم الشخصية:

مرَّ مفهوم الشخصية بتطورات مختلفة في الحقل الواحد تبعا لتطور المناهج الحديثة[1]، وعليه نحاول تحديد أبرز الرؤى النقدية؛ التي تعرضت لمقولة الشخصية بعدّها عنصرا أساسيا من عناصر السرد، والقلب النابض للرواية.

إذا عدنا إلى الشعرية الأرسطية نجدُ أنَّ مفهوم الشخصية قد ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالفعل الذي تؤديه؛ حيث كانت تأخذ موقعا ثانويا وتقوم بدور هامشي؛ لأن البعد الوحيد الذي تقوم عليه المأساة عند"أرسطو aristo" هو الحدث، أما الشخصية فهي خاضعة خضوعا تاما له «والأحداث هي المتحكمة في رسم صورتها– الشخصية– وإعطائها أبعادها الضرورية والمحتملة، وتصبح المأساة لا تحاكي عملا من أجل أن تصور الشخصية، ولكنها بمحاكاتها للعمل تتضمن محاكاة الشخصية من حيث صفاتها الأخلاقية، وما تعبر عنه من حقائق»[2]؛

بمعنى أنّ الشخصية كانت مجرد إطار صوري لا يتمتع بأي وجود حقيقي؛ فهي تفتقر لمن يثمّن وجودها ويلهب عاطفتها، ويجعل منها شخصية واعية وذات قيمة.

واستمر هذا التصور عند المنظرين الكلاسيكيين؛ حيث عدوا الشخصية مجرد اسمٍ قائمٍ بالفعل، والتي تؤكد أن «العمل الفني محاكاة للحياة بما فيها من سعادة وشقاء، وبالتالي تصبح الشخصية من مقتضيات الأعمال وتوابعها؛ فهي من النوافل أو من الواجب من غيره لا الواجب بذاته»[3] .

ولا غرو في أن الدراسات الحديثة قد نظرت للشخصية نظرة مغايرة لما كانت عليه من قبل، وتعاملت معها تعاملا خاصا؛ حيث نظر التحليل البنيوي إليها بمثابة دليل(signe)؛ له وجهان أحدهمادال (signifiant) والآخر مدلول(signifié)؛ فتكون الشخصية بمثابة دال «تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها»[4]، أما الشخصية كمدلول « فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص، أو بواسطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها»[5]، كما أنها تعتبر كمورفيم مزدوج التمفصل، يتميز في البداية بكونه لا يحيل على أي شيء ولا يعنيه؛ فهو بذلك فارغ من كل دلالة مسبقة، ومن ثم فهو يشكو في البداية من الفراغ الدلالي، «غير أنه سرعان ما يغدو مشحونا كلما تقدم السرد»[6].

والشخصية تركيب أبدعته مخيلة الروائي وجسدته اللغة، ويستطيع الروائي التحكم فيها بشكل مباشر لكي تخدم غرضه؛ لأنها مخلوقات ورقية صنعها بقلمه؛ تتشكل ملامحها تدريجيا عبر المسار السردي، كما أنها «تولد عبر السرد ويتشكل الجسم الروائي من الملامح الظاهرة والمضمرة للشخصيات»[7]؛ فهي كائنات صماء فضاؤها اللغة؛ تتحرك بوحي الكاتب تقوم «بمهمة التعبير عن الرؤى الإيديولوجية المتباينة، أو المتشابهة بوسائل مختلفة، ومواصفات متباينة تبعا لطبيعة البناء الفني الذي يعتمده الكاتب»[8]؛ فالأشخاص الذين يختارهم الكاتب من واقعه الاجتماعي ما إن يدخلوا الرواية حتى ينفصلوا

عن ذواتهم الأولى، وتتحقق لهم ذوات جديدة يرسمها النص؛ فهي لا تحيلنا بالضرورة إلى واقع ملموس؛ لأن لكل منهما عالمه الذي يتحرك فيه.

حاول النقد الشكلاني؛ ممثلا في أبحاث فلاديمير بروب(Vladimir Propp)، ونقد علم الدلالة المعاصر ممثلا في أبحاث غريماس(Greimas)؛ تحديدَ مفهوم الشخصية بالنظر إليها «كمجموعة من العلامات والبنيات، التي تستمد وجودها وكيانها المستقل من داخل النص، وهي بذلك تتطلب بأن ينظر إليها في ذاتها ومقوماتها، التي تمنحها صفتها الشخصية المميزة»[9]، وقد أعطى غريماس «فهما جديدا للشخصية في المسرود عندما ميز بين العامل والممثل، ويخرج لنا بما يسمى (الشخصية المجردة)، هكذا تصبح الشخصية مجرد دور ما في الحكي؛ يؤديه عامل أو ممثل؛ فالعامل قد يكون شخصا أو مجرد فكرة أو جمادا أو حيوانا، كما يمكن لعامل واحد أن يكون ممثلا في الحكي بممثلين أو أكثر، كما أن ممثلا واحد يمكن أن يقوم بأدوار عاملية متعددة»[10]، وتتجسد الشخصية الروائية حسب بارت في كائنات من ورق، وتتخذ شكلا دالا من خلال اللغة؛ فهي «ليست خلقا نصيا من المؤلف»[11]؛ فالشخصية قد أصبحت مجرد عنصر شكلي وتقني للغة الروائية، لا أثر لها خارج حدود اللغة.

نجد أن التباين في تحديد مفهوم الشخصية الروائية يتصل أساسا بتباين المناهج التي تناولتها في النصوص الأدبية بالدراسة؛ فالشكلانيون الروس مثلا يرون بأنّ الشخصية القصصية، هي عبارة عن مجموعة من الخصائص والصفات الخارجة عن طبيعة القصة، وبما أنّ القصة مبنية وفق تسلسل فإنّ هذه الخصائص الذاتية لكل شخصية لا تدخل فيها، بل «هناك أدوار معروفة سلفا توضع في سياقها الشخصيات، سواء كانت بشرية أو غير بشرية»[12]، في حين يرى أصحاب مدرسة النقد الجديد ومنهم فيليب هامون بأن الشخصية الروائية هي تركيب يقوم به القارئ أكثر مما يقوم به النص، والشيء الأساس

الذي يبين هوية الشخصية هي أدوارها، وليس ما تتصف به من سمات جوانية ومظاهر خارجية.

على أن هوية الشخصية في الرواية –فيما نرى– تتحدد من خلال أفعالها وسلوكاتها ومن خلال سماتها ومظهرها الخارجي، إضافة إلى التفاعل الناتج عن علاقاتها مع باقي الشخصيات التي يحويها النص السردي، وذلك ما تدعو إليه السيميائية حين ترفض كون الشخصية مجرد كائن لغوي معزول.

ويشكل الاسم إحدى السمات المميزة للشخصية الروائية؛ ففي كثير من الأحيان تلخص لنا بعض الأسماء بإيجاز حقيقة الشخصية، وتعطينا لمحة عنها؛ إذ إن أي روائي لا يُسمِّي شخصياته اعتباطا؛ بل يعمل على إيجاد أسماء تدل عليها«تحددها وتجعلها معروفة وتختزل صفاتها؛ لأن هناك رابطا منطقيا بين الشخصية واسم العلم الذي يدل عليها»[13]؛ فبناء الشخصية لا يقوم على جانب واحد فقط، بل إن الروائي يحاول التنسيق بين عدة أبعاد لتكون في الأخير محصلتها الكاملة، ولعل ما يثير انتباه أي دارس هو الاسم الذي تحمله الشخصية؛ فالروائي يبذل مجهودا لانتقاء أسماء تدل على شخصياته؛ مراعيا جملة من المعطيات من بينها: المستوى الاجتماعي والثقافي، الجنس، المهنة، الاتجاه الإيديولوجي..

ومن البديهي أنّ الروائي لا يسمي شخصياته عرضا، بل يهدف من خلال اختياره لأسماء شخصياته إلى«أن تكون متناسبة، ومنسجمة بحيث تحقق للنص مقروئيته، وللشخصية احتماليتها ووجودها، وهذا مايؤدي إلى تنوع واختلاف أسماء الشخصيات الروائية»[14]؛ لنخلص إلى أن الأسماء المعطاة للشخصيات توظف توظيفا خاصا إذ تحتكم إلى" المقصدية التي تضبط اختيار المؤلف لإسم الشخصية لا تكون دائما بدون خلفية نظرية، ولا تنفي القاعدة اللسانية حول اعتباطية العلامة»[15].إذ أن هذه الأخيرة ينقلها المؤلف «كعلامات لغوية من الاعتباطية إلى القصدية»[16]

ويرى السيميائيون أنّ هناك مقصدية جمالية من وراء اختيار أسماء الشخصيات في الأعمال الأدبية، ولهذا نجد "فيليب هامون "Ph. Hamon"؛ يذهب إلى أن حضور أسماء الشخصيات في الجنس الروائي غالبا ما يتحول إلى إشارات مبرمجة وفق توجهات اللعبة السردية، والاختيارات الجمالية والإيديولوجية للكاتب»[17] .

2.الرماد الذي غسل الماء...رؤية في المتن الحكائي.

يعرف توماشفسكي المتن الحكائي بأنّه:« مجموعة الأحداث المرتبطة فيما بينها والتي تروى لنا من خلال العمل؛ المتن الحكائي يمكن أن يعرض علينا بطريقة عملية حسب الترتيب الطبيعي أي الترتيب الكرونولوجي والسببي للأحداث، عرضا مستقلا عن الطريقة التي انتظمت بها وأدمجت في العمل.المتن الحكائي يختلف عن المبنى الحكائي الذي يتألف من الأحداث نفسها، ولكنه يحترم ترتيب ظهورها في العمل وتتابع المعلومات التي تخبرنا عنها»[18].إذ أنّ المتن الحكائي أداة تعبيرية في يد الكاتب؛ يروضها هذا الأخير وفق عملية تكتيكية بأهداف استراتيجية متبناة من قبل السارد نحو المسرودود له، إذ تتفاوت درجة الإبداع في ذلك من أديب لآخر،ولن يكون عز الدين جلاوجي بعيدا عن هذا المنحى.

إنّ المتصفح لمتن الرواية يجدها تقوم على أربعة أسفار، كل سفر ضمن بحواشي مرقمة، إذ بلغ مجموعها ضمن المسار السردي تسعين حاشية، تقوم بوظائف متنوعة مثل التعريف بالشخصيات ووصف الأمكنة؛ وتختصر هذه الرواية في مضمونها العام بعدا اجتماعيا وهو الصراع بين الخير والشر قطبا الحياة، وإن كانت الرواية تنطلق من حدث فظيع وهي جريمة قتل(عزوز المريني)، فإن هذه الحادثة في حد ذاتها جعلت سكان المدينة يعيشون فوضى واضطرابا، بخاصة بعد االتحريات الأولى للشرطة إذ يكتشفون اختفاء الجثة في عين المكان التي تمت فيه الجريمة.

3.بنية الشخصيات:التشكل والدلالة

سأحاول الكشف عن مختلف تلك الدلالات التي تبوح بها أسماء الشخصيات من خلال وظيفتها في السرد، وظلالها التي ترمز إلى جوانب خفية قد لا تظهر حتى على سماتها الخلقية أو مكانتها الاجتماعية.

1/ عزيزة الجنرال:

شخصية فاعلة في المتن السردي، وإذا تأملنا هذا الإسم؛(عزيزة الجنرال) في تركيبته اللغوية نجد أنّه يدل على صفة العزة والقوة والسلطة، كما تحيل الصفة المضافة (الجنرال) على معنى الجبروت والطغيان.

وإذا كان الاسم في معناه العام يدل على عزة النفس ويوحي بمجموعة من القيم الإيجابية، فأنه يوحي نصيا إلى قيمتين متناقضتين (الضعف/القوة)؛ في الماضي تعيش الشخصية شكلا من الضياع بعد فقدان والدتها «**توزعتها الدور هنا وهناك، ولسعتها نظرات الإشفاق ونظرات الرفض والكره**»[19]، لكن هذا الضعف يتحول إلى قوة في حاضرها (**مضغة للشفقة إلى إعصار للرفض والتحدي، وخاضت في لجة الحياة حتى استوت سيدة للمجتمع وخصوصا بعد اقترانها بسالم بوطويل، وضمها الثروتين معا في قبضتها**)[20]؛ فتتحول من شخصية قوية وعزيزة النفس إلى شخصية ضعيفةٍ منطويةٍ على نفسها كلما استحضرت طفولتها القاسية. كما تحيل تسمية "عزيزة " على معاني الجمال فهي عزيزة وغالية لجمالها الذي أقر الراوي به«**هي امرأة كاملة يتمناها كل رجل ....وهي أجمل بكثير من ذهبية**»[21]،

ويوحي النص أيضا إلى أن هذه الصفة (الجنرال) قد ألحقت باسم عزيزة نسبة إلى علاقتها بالجنرال المتقاعد، (**وقد سماها الناس بالجنرال لقوتها ولعلاقتها بالجنرال .....**)[22] ،والذي يمثل السند الرئيسي؛ الذي تتكئ عليه عزيزة،في حماية ابنها(**لقد أطلق سراح فواز معززا مكرما، ووصل الضابط سعدون أمر الانتقال إلى الصحراء**)[23]

فلقب الجنرال يوحي بالديكتاتورية والقوة والسيطرة وحب الامتلاك، وقد أسبغ عليها رهبةً لطالما شعر به من هم حولها، والمقطع التالي يعبر عن ذلك **(إذا أردت قضاء مآربك فعليك بعزيزة الجنرال...هكذا يردد الجميع...وهكذا يعتقدون أيضا.كلما ضاقت الدنيا بأحدهم هرع إليها، وهي تعرف الجميع، تمد خيوطها السحرية، فإذا الحق باطل والباطل حق(...)والجميع يعرف أيضا أنها وراء وصول مختار الدابة ونصير الجان إلى كرسي البلدية لتسهل على نفسها تحقيق ماتريد)**[24]

إنّ هذا النموذج من الشخصيات كما هو بادٍ يُمارس سلطته دون ردع؛ يمتلك كل الحقوق للتحكم في رعاياه وإجبارهم على الخضوع لمشيئته؛ بدءا بكل الوسائل المتاحة من الضغط المعنوي؛فكل الأفعال توحي بهيبة الشخصية التي تفرض سيطرتها ونزعتها الاستبدادية والميل إلى التحكم في رقاب الناس، وذلك من خلال قولها **(الحق في هذا البلد للمال والقوة)**[25] و القانون تحت وطأة لمن يملك الغلبة والقوة **(بعض الناس يدوسون القانون كما يدوس الناس نعالهم)**[26]

وهذا مايولّد مشاعر الكره والسخط لدى بقية الشخصيات التي تطالها هذه السلطة وبالتالي النفور منها والابتعاد عنها والرغبة في إطاحتها والتخلص منها، وإن الشخصية السلطة تخول لنفسها حق الاستيلاء على أملاك الآخرين **(عزيزة الجنرال تستولي على أراضي الفلاحين البسطاء، وتأخذها منهم عنوة)**[27] .

ويوحي النص كذلك بأن طابع السيطرة والتملك؛ يتجلى أيضا من خلال شخصية الوالدة بوصفها شخصية مرهوبة الجانب تفرض سلطتها المادية والمعنوية على الأبناء؛تظهر عزيزة الجنرال كأنموذج للأم المتسلطة التي يرهبها الجميع؛ فهي صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة في البيت، ويتجلى ذلك من خلال حوار بين زوجها سالم وابنته نورة **(ومتى كنا نستطيع أن نقول في هذا البيت نحن وأنتِ على السواء؟)**"[28].

ويعكس اسم "عزيزة الجنرال" الانتماء إلى الطبقة البورجوازية **(حاولت عزيزة الجنرال أن تظهر بمظاهر الطبقة الراقية في كل حياتها، فهي تختار لنفسها أرقى السيارات، وتغير لباسها وتسريحة شعرها وفق الموضة، وهي تمارس الرياضة مرتين في الأسبوع في قاعة خاصة بالرياضة النسوية، واقتنت منذ سنوات كلبا روسيا...تعرضه على الطبيب دوريا)**[29].

كما تمثل عزيزة الجنرال أنموذج الزوجة المتسلطة، المتكبرة، الناكرة، الماكرة في حق العشرة الزوجية، المتجردة من الطاعة؛ إذ جمعت عزيزة مع زوجها سالم علاقات منحطة، وحوارات مستحقرة فيها لزوجها، ويتجلي ذلك في الملفوظ السردي التالي: **(ولم يشأ سالم أن يناقش لأنه يعرف تصرفاتها الحمقى فأسرع بتنفيذ المطلوب...ولما وقف أمامها كالتلميذ الطائع طلبت منه أن يتصل بالطبيب فيصل وينتظراها حتى تعود)**[30] .وتتخلل المتن مقاطع أخرى توحي بتسلط الزوجة وتعجرفها؛ فهي ترى في سلطتها الرجل والمرأة معا **(أنا امرأة ولكني من حديد يجب أن أقطع من قلبك عرق أبيك ..أنت جبان مثله إما إن تكون مثلي أو أقتلكم جميعا)**[31] ؛فقد جمعت بين متناقضين لا على الصعيد الفيزيقي فقط وإنما في دخولها عالما صعب المغالبة في غالب الأحيان؛ فتحت نطاقا جدليا يدفع القارئ إلى الوقوف أمام هذا المزج الانفصامي، والذي يفسره تَحَلّيها بصفات رجولية تحدت بها رجالا في بأسهم وعنفوانهم.

وتظهر سمات الزوجة الانتهازية الأنانية، حين تطلب من زوجها الاعتراف للشرطة بدل ابنها فواز(المجرم)؛ **(لا تضيع شباب ابنك يجب أن تعترف مكانه، أنت أنهيت عمرك وهو مازال في ربيع عمره)**[32]؛فعزيزة الجنرال امرأة تحمل كل صفات القوة والديكتاتورية، ونموذج للزوجة المتسلطة، غير الوفية لزوجها، المحتقرة؛ فاسمها دلالة على الشخصية التي اكتسبتها.

2.الضابط سعدون:

نجد بأن هذا الاسم مكون من كلمتين تدلان على صفتين اثنتين، والتعريف هنا تأكيد لحضوره في ساحة الأحداث؛ الأولى ضابط تعني الانضباط والالتزام؛ فقد **(كان طالبا على مقاعد الدراسة كان يحلم بدولة الحق والعدالة ، دولة المساواة بين الأمير والرعية، بين الفقير والغني، بين القوي والضعيف (...)ولذلك اختار الشرطة ليملك الوسيلة لإقامة العدل** "[33]؛فتبدو هذه الشخصية من خلال المتن الروائي مثقفة؛ فهي المرآة العاكسة للوجه المشرق والسوي للقانون والعدالة، كان يقرأ عن أبي ذر، وعمر، أبي بكر..

والثانية "سعدون" الذي يعني السعد والفرح، إلا أنه نصيا عانى هو الآخر من **(ظلم المجتمع، ومن التفاوت الطبقي، وهو صغير، كم افتقد لحذاء يقي أصابعه الصغيرة برودة الأمطار، ولحساء دافئ يلوك به الخبز الجاف...وكم افتقد كراسا..أو كتابا...وكم تحمل في سبيل ذلك)**[34] ، على الرغم من طفولته القاسية إلا أن ذلك لم يؤثر على استقامة سلوكه؛ فمن خلال النص يظهر أمينا، مخلصا، مؤديا وظيفته على أكمل وجه؛حيث كرس نفسه لتحقيق العدل والمساواة، لكن للأسف انتهى به الأمر بقذفه إلى الصحراء **(وصل الضابط سعدون أمر الانتقال الى الصحراء،بعيدا عن منزله مئات الكيلومترات"**[35].من طرف "عزيزة الجنرال" **(أدرك سعدون أن يد عزيزة أطول مما يتوقع..)**[36]

3.فاتح اليحياوي:

إذا تأملنا هذا الاسم(فاتح)من الناحية اللغوية؛ فإننا نجده يدل على الفتح، وإنارة العقول، والإصلاح، وقد تجسدت دلالات هذا الاسم على امتداد المتن السردي، من خلال سلوكات الشخصية الحاملة لهذا الاسم، وأفعالها وتداعياتها

و يظهر ذلك جليا في محاولتها فتح عقول سكان مدينة عين الرماد،وتطهيرها مما علق بها من ترهات وأفكار بالية وانحرافات وتبعية عمياء، لممتلكي السلطة وبطانتهم في مدينة(عين الرماد)؛ فـ(فاتح) من هذا المنطلق يصبح رمزا للتطهير والتحرير(تحرير العقول)؛ فسيحاول من خلال النص أن يفتح كل الأبواب والنوافذ التي ستسمح بدخول النور إلى مدينة عين الرماد، وبالتالي إخراج المدينة وسكانها من ظلمة الظلام والظلم .

و"فاتح" شخصية مثقفة واعية، إلا أنه وجد تناقضا كبيرا بين مبادئه وواقع قريته المرير الذي يفتقد إلى مقومات العدل والحب والمساواة (**وحده فاتح اليحياوي تصدى لهذه القائمة ووحده ظل يحرض الناس ضدها..**)[37].كان فاتح أكثر الشباب حماسة وثورة على مظاهر الانحراف، والانزلاقات اللاأخلاقية التي عمت قريته. وتنطوي دلالة الاسم الشخصي لفاتح اليحياوي من خلال النص على معاني الثقافة، وقد اتصلت بشخصية المثقف في الرواية "**كان فاتح اليحياوي يتخذ من غرفته صومعة يمارس فيها رهبنة العلم والفكر والثقافة** "[38].وفي العادة يتميّز المثقف بخصاله، ورؤاه فينفرد بالنظرة الواعية والثاقبة لذا قد يشعر بالاغتراب الذي انجر عن تفوقه على عامة الناس بسعة الثقافة والزاد المعرفي الذي لن يفهم كنهه إلا الأكِّفاء .

أما الإضافة التي ألحقت بالاسم (اليحياوي)؛ فتعني الحياة، وتبدو هذه الإضافة أنها تختزل بعدين متناقضين (التفاؤل/التشاؤم)؛ ففي بداية حياته بدا متفائلا نشطا؛ فهو يحلم بمجتمع نزيه، خال من أشكال الزيف والظلم، وإمكانية إصلاح الاعوجاج الذي طغى على مدينة (عين الرماد)؛ فهو أستاذ جامعي؛ يدرس علم الاجتماع، لذلك سعى إلى مواجهة الانحرافات الأخلاقية والسياسية والاجتماعية والدينية " **وماكادت عزيزة الجنرال تستولي على أراضي الفلاحين البسطاء وتأخذها منهم عنوة، وماكادت تشتري شركة البناء التي تشتغل مئات العمال، وماكادت تضع يدها على أملاك الدولة فتشتريها بأسعار رمزية**

حتى ثار في المدينة يقود الناقمين...وحدث مالم يكن يتوقعه... لقد دخلت القوات العمومية وفرقت المتظاهرين ليحاكم فاتح، ويشهد بعض المتضررين على صحة ماوجّه إليه من تهم"[39].إلا أنه قد اصطدم بالواقع الحقيقي للمجتمع القائم على النفاق والخداع، وانعدام الحرية والعدالة الاجتماعية،حيث سبب له هذا الواقع خيبة أمل كبيرة ، بخاصة عندما زجّ به في (السجن)، مما أدى به إلى اتخاذ العزلة سلاحا لمواجهة المجتمع "**يا كريم لم تعد لي علاقة بالبشر**"[40]

ويأس فاتح اليحياوي مرتبط بفضاء المدينة والمسؤولين فيها؛ حيث ينمي هذا الفضاء كل الأحلام والطموحات، ويمكننا تحديد مصدر اليأس والحزن الذي يعانيه، انطلاقا من كونه مثقفا واعيا؛ فـ"فاتح اليحياوي" يدرس علم الاجتماع؛ مغمور بفلسفات"دور كايم" و"سقراط"و"كنفوشيوس"، و"ديكارت"، وغيرهم من المفكرين؛ لذلك سعى إلى مواجهة الفساد في المدينة، إلا أن أحلامه وأمانيه قد طمست واصطدمت بالواقع المزيف؛ فألفى الكذب والنفاق والجمود الفكري، وسيادة أصحاب المال، ولاحظ أن المجتمع يسبح في هذه الآفات"**كان يدرك جيدا أن سكان عين الرماد ضحية مؤامرة بين من يملك الدينار ومن يملكون القانون**"[41]

هذا اليأس جعله يفضل الانسحاب والاختفاء بين أحضان الطبيعة، لأنه لم يستطع التأقلم مع أوضاع المدينة، وفشل في مسايرة نمط الحياة بها "**عند الصباح كان الفاتح اليحياوي يخرج إلى خلوته بجبل المدينة(....) والناس في كل مكان من المدينة كالخنافس يلتصقون بالجدران والأرض، في عيونهم زيف(....) استوى فاتح اليحياوي على الصخرة في مكان مستو ثنى ساعديه(....) وراح يتأمل رؤوس الأشجار الخضراء، وقد استوت منحدرة تغطي السفح الآخر كله متصلة بالسهول الفارغة العذراء ...وفوقها تنتصب قبة السماء زرقاء صافية(...) هذا مكانك الطبيعي يا فاتح يجب أن تفر من الكتل البشرية المريضة، ومن مدنهم الموبوءة، ومن شعائرهم وطقوسهم**

الزائفة (...) ما يهمك أنت إن صلحوا أو فسدوا لا سبيل إلى إصلاحهم، و تقويمهم، فليعبدوا أصنامهم، وليعيشوا كالبهائم"[42].

فاسم فاتح اليحياوي رمز لصورة الإنسان الذي فقد الثقة في تصرفات الدولة، ومن جهة أخرى يوحي اسمه من خلال النص إلى دورتين اثنتين؛ ففي بداية حياته عاش متفائلا يغمره النشاط والحيوية والرغبة في إنارة العقول والاندفاع إلى إقامة مدينة يسودها العدل، أما الدورة الأخرى تمثل شخصية اليأس والخيبة والخضوع.

4.كريم السامعي:

تنطوي الدلالة اللغوية لهذا الاسم على العطاء والسخاء والتسامح، وقد تجسدت دلالاته في المتن السردي،من خلال كرمه"**فكان نشيطا يرحب بالضيوف ويوزع الحلويات والقهوة**".[43]وتتجلي كذلك من خلال استقامة سلوك شخصيته"**كانت نيتي هي فعل الخير ويظهر ان فعل هذا الخير ليس بالأمر الهين**"[44].ففي الوقت الذي كان بإمكانه أن يكتم ما شاهده، قرر عدم التستر وسعى إلى إخبار الشرطة، وهذا الأمر أدى به إلى الدخول في متاهات عدة، من ملاحقات قانونية واتهامات مزيفة. وهو المتهم البريء الذي اكتفى بالدراسة والاهتمام بالموسيقى ليستثمر فيها بعد دراسته في مجال الزراعة وخدمة الأرض مع والده:"**كان كريم السامعي يقضي معظم وقته عاملا بالمزرعة**"[45]

5. سالم بوطويل :

إذا تأملنا هذا الاسم، نجده ينطوي تحت حقل السلم والأمن، سالم شخصية مسالمة، محبة للغير، حافظت على نقائها وصفاء قلبها ، وهذا ما يتناسب مع وظيفتها في السرد، كوقوفه مع بدرة زوجة ابنه وهي في مرحلة المخاض، وحنينه للأرض " **تمنى لو كان مجرد فلاح فقير يرعى شويهات، ويأكل كسرة شعير تصنعها أنامل زوجته ... تمنّى لو لم يكن أصلا في هذا الوجود**"[46]. فليس للمال معنى عنده مادامت الأراضي التي امتلكوها لم تنشر

الدفء والحنان بين أفراد الأسرة فهو يقول متحسرا " **ما معنى أن تملك المال والعقاروالمَزارع ،ثم أنت لا تملك نفسك ؟ ما معنى أن تأكل ما لذ وطاب، وتلبس أجمل الثياب، وتركب أفخر السيارات، ثم أنت مضطرب الروح والنَّفس؟**"[47]؛ فقد كان مسالما حتى في عيشه زاهدا لا يرجو سوى ضمان قوت يومه رجل بسيط سلم الناس من شرّه، حتى زوجته؛ فبالرغم من تصرفاتها غير الواعية إلاّ أن تجاهله لحمقها قد زاد من كرم قلبه وأخلاقه فقد " **كان يفيض بشرا وفرحا عارما يطمر به غيضا دفينا وأدرك سالم أن زوجته تتصرف بحمق ..ولكنه لم يشأ أن يثيرها**"[48].فبوطويل لقب يوحي بطول الخير وسعة الصدر وسذاجة العيش؛ فأيام كان في أسرته" **لم تكن عنده لا دار ولا سيارة ولا تلفزيون ولم يكونوا يأكلون على الطاولات والكراسي ولا ينامون على الأسرة ولكن كان للحياة طعم ومذاق وكان الحب الذي يحملونه في مخازن قلوبهم هو رصيدهم الأكبر ورث أبوه عن جده الأراضي الشاسعة قطعان الغنم والبقر بقدر ما كان جده يحب التوسع في المال كان خيرا يفتح بيته وقلبه للجميع الفقراء المساكين وأبناء القبيلة وكان يلقب بأبي الفقراء**"[49] .

سالم الذي عاش ماضيا جميلا، لازال يستحضر أيامه مع ذهبية التي كلما تذكرها "**ذهبية بنت الطاهر تذكر قول الشاعر وما الحب إلا للحبيب الأول**" [50]؛ فقد كانت ذهبية بنت الطاهر التي أحبها وعاد إلى شبابه معها؛ كانت أكبر خسارة في حياته، وهو يعزي نفسه بنفس طللي يبكي أيام الخوالي والصفاء الأبدي.

6.مختار الدابة:

تحيل الدلالة اللغوية لاسم (مختار) على الصفاء والنقاء، إلا أن هذا الاسم لا ينسجم مع واقعه؛ فهذه الشخصية ذات طاقات وتوجهات سياسية تروم السلطة؛ إذ هو مرشح حرّ فاز بالانتخابات بالموازاة مع عزيزة الجنرال" **فالجميع يعرف أنها وراء وصول مختار الدابة إلى كرسي البلدية لتسهل لنفسها تحقيق**

ماتريد"[51]. من جانب آخر يوحي النص إلى الوضعية الاجتماعية المزرية التي نشأ عليها، وفي لمح البصر تقلد مناصب سياسية هامة في المنظومة الحزبية؛ فقد "بدأ **حياته خضارا متواضعا ثم نشطا في الحزب ..ثم مرشحا للانتخابات البلدية**"[52]

أما الإضافة التي ألحقت بالاسم" الدابة"؛ جعلها تحمل دلالات مختلفة؛ منها دلالة اللاعقل؛ فهو مجرد أداة من أدوات عزيزة، كما أن هذه الإضافة قد تحمل دلالة الحيوانية، وهذا لأن مختار الدابة يسعى سعي الدواب–الحيوانات– وراء رغباته الحيوانية "**فمختار الدابة لا هم له سوى مطاردة النساء**"[53]، ويوحي النص كذلك "**ولُقب مختار بالدابة منذ كان تلميذا، لقد كان يصفه المعلم بذلك لسوء سلوكه مع زملائه الذين طالما عانوا من غلظته في المعاملة**"[54]

7 نوارة :

نوارة زوجة كريم السامعي (المتهم/ البريء)؛ تحيل الدلالة اللغوية لاسمها على "الإضاءة" ويوحي النص أنها أضفت على بيتها نورا حين اتهم زوجها وزجّ به في السجن، قد مثلت نموذج الزوجة المحبة، المخلصة هي تلك الزوجة القلقة في غيابه، لما كان في مركز الشرطة ولم يلتحق بمنزله في الوقت المعتاد"**وأعادت نورة زوجة كريم الاتصال للمرة الثالثة دون جدوى..**"[55].ويعود قلقها لدرجة التفكير بالخروج للبحث عنه ليلا "**ودار في خلد نوارة أن تخرج للبحث عنه ...**"[56] ، وهي السعيدة برجوعه " **وماكاد كريم يلج الباب حتى ارتمت على صدره وقد سبقتها الدموع لتمنعها عن الكلام ووقف هو يضمها إلى صدره يغالب تعبا قاهرا**"[57]

أما عن جمالها يتحدث الراوي" **نوارة كانت بوجهها المتألق سمرة بتقاسيم الوجه الفاتنة تشبه كل الجميلات العربيات والبربريات** "[58]وهذا ما عكس فعلا اسمها الشخصي؛ ففي العامية النوارة تكون جميلة ولافتة للانتباه، كما تسر الناظر إليها.

8.العطرة المرنيني :

تحيل الدلالة اللغوية لاسم العطرة على معاني الجمال، وقد تجسدت دلالة هذا الاسم في المتن السردي "**هل يجني هذا الجمال الرهيب على العطرة** "[59]، لذلك فالمرأة الجميلة غالبا ما تنعت بالوردة "**وردة متفتحة الأكمام** "[60]؛ تعيش فترتين في حياتها، قبل وفاة أمها سليمة كانت العطرة وسط عائلتها تحت سقف بيت عشوائي، وبعد وفاة والدتها استلمت وظيفة في البلدية ومنحها شيخ البلدية مسكنا جديدا رفقة عائلتها، وإن كان يبدو فارغا وباردا :"**فقدت في هذا البيت الجديد كل ما كان يعشوشب فيها من ذكريات جميلة..ذكريات الطفولة،وذكريات الحب الأول...ذكريات أمها، وطيفها الذي كان يزورها حينا بعد آخر يحلق في جو الحارة والبيت القديم**"[61].

ويبقى أن نقول أنَّ الشخصية ما هي إلاّ نتاجُ متخيلٍ يبدعه الكاتب بناءً على اختيارات جمالية خاصة؛ اذ أن تسمية الشخصيات في النص المدروس تحكمها غايات فنية ودلالية، بما احتوته من تشابه تارة ومن تضاد واختلاف تارة أخرى،إذ أن هناك بعض الشخصيات لم تكن معبرة عن واقعها وهذا الأمر كان لدواع فنية بحتة قصد خلق نوع من المفارقة في النص، مما يؤدي إلى إثراء البعد الجمالي للرواية.

الإحالات والهوامش:

1. حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء–الزمن–الشخصية) ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990 ص 79
2. المرجع نفسه، ص 208
3. الصادق قسومة : طرائق تحليل القصة ، كتاب العرب،دمشق ،دط،ص 96 .
4. حميد لحميداني : بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب،ط2،دت، ص 51.
5. المرجع نفسه: ص ن

6. عبد العالي بوطيب: مستويات النص الروائي ، مقاربة مظرية، الرباط،ط1،1999، ص 47
7. محمد ساري : نظريات السرد الحديثة ، مجلة السرديات، قسنطينة، العدد الأول،جانفي2004،ص 27
8. محمد يوسف نجم : فن القصة ، دار صادر للطباعة ، بيروت، ط1،1996 ، ص 90.91.
9. سعيد يقطين : قال الراوي(البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، ط1، 1997 ، ص88.
10. حميد لحمداني: بنية النص السردي ، ص37
11. بسام بركة وآخرون: مبادئ تحليل النصوص الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1،2002، ص85
12. عمرعيلان: الايدولوجيا وبنية الخطاب الروائي(دراسة سوسيو بنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة)، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، ط1،2001، ص203-204.
13. سمير روحي الفيصل: الرواية العربية، البناء والرؤيا، مقاربة نقدية،اتحاد كتاب العرب، دمشق، د ط، 2003، ص132
14. حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي،ص247
15. المرجع نفسه: ص35
16. المرجع نفسه :ص36
17. B.Tomachevski :Thématique.p268.in Théorie de littérature-texte des formalistes russes-réunis, présentes et traduits par Tzvetan Todorov-édition du SEUIL.1965

نقلا عن رياض بن يوسف: أدبية السرد القرآني، أطروحة دكتوراه في الآداب ، جامعة منتوري قسنطينة، 2010/2009، ص06

18. عز الدين جلاوجي: الرماد الذي غسل الماء،ص68.
19. المصدر نفسه: ص69
20. المصدر نفسه:ص20
21. المصدر نفسه: ص 69

22. المصدر نفسه: ص 198.
23. المصدر نفسه،: ص104
24. المصدر نفسه:ص 40
25. المصدر نفسه :ص 38
26. المصدر نفسه: ص 41
27. المصدر نفسه: ص 125
28. المصدر نفسه: ص 09
29. المصدر نفسه : ص83
30. المصدر نفسه :ص 56
31. المصدر نفسه: ص73
32. المصدر نفسه: ص 73.
33. المصدر نفسه:ص 234
34. المصدر نفسه: ص 244
35. المصدر نفسه:ص153
36. المصدر نفسه: ص18
37. لمصدر نفسه :ص 63.64
38. المصدر نفسه: ص 18
39. المصدر نفسه: ص 38.
40. المصدر نفسه: ص 132
41. المصدر نفسه: ص.82
42. المصدر نفسه: ص52
43. المصدر نفسه: ص18
44. المصدر نفسه : ص57–58
45. المصدر نفسه: ص58
46. المصدر نفسه :ص43
47. المصدر نفسه : ص 45
48. المصدر نفسه: ص 201.
49. المصدر نفسه:ص 69.

50. المصدر نفسه: ص43
51. المصدر نفسه :ص57
52. المصدر نفسه:ص44
53. المصدر نفسه:ص 16.
54. المصدر نفسه: ص 17
55. المصدر نفسه: ص17
56. المصدر نفسه:ص 108
57. لمصدر نفسه: ص53
58. المصدر نفسه : ص149
59. المصدر نفسه : ص 231
60. المصدر نفسه: ص 41
61. المصدر نفسه: ص62